
النفس منطقة الخطر

ⓒ حسن موسى الصفار، ١٤١٨هـ

**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

الصفار، حسن موسى

النفس منطقة الخطر ـ الرياض

.. ص؛ .. سم

ردمك: ٥ -١١٣-٣٤-٩٩٦٠

١- الإسلام وعلم النفس ٢ـ الوعظ والإرشاد

أ . العنوان

ديوي ١٥, ٢١٤ ١٨/٠٥٢٠

رقم الإيداع: ١٨/٠٥٢٠

ردمك: ٥ -١١٣-٣٤-٩٩٦٠



**الطبعة الثانية**

**١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م**

حسن بن موسى الصفار

# النفس منطقة الخطر



الحمد لله رب العالمين .. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

# المقدمة

جهود طائلة وإمكانات هائلة يصرفها الإنسان من أجل الاهتمام بجسمه وبحياته المادية، حتى أصبح كل جانب من جوانب الحياة المادية عالماً قائماً بذاته؛ ففي مجال الغذاء والطعام هناك: الزراعة وتربية المواشي وأسماك البحر، ومصانع الأطعمة والأغذية بمختلف ألوانها وأشكالها. وفي مجال الصحة والطب: هناك الجامعات والمستشفيات ومصانع الأدوية والبحوث والاكتشافات. وفي مجال الألبسة والأزياء وشؤون المنزل وقضايا الأناقة والجمال: هناك آفاق واسعة واهتمام كبير.

وعلى صعيد الاهتمام بالجانب العقلي من شخصية الإنسان تتقدم البشرية بخطى حثيثة لاكتشاف مجاهيل العلم والكون؛ فكل فرع من فروع المعرفة له تخصصه ومؤسساته، وهناك المدارس والجامعات ومراكز البحوث والدراسات، والمؤتمرات ودوائر المعارف والمجلات والمطبوعات. ولا تزال مسيرة الاختراعات والاكتشافات العلمية متواصلة متتابعة.

أما الجانب الروحي النفسي فهو البعد المهمل والمتروك من شخصية الإنسان، حيث لا يستأثر إلا باهتمام ضعيف بسيط، وحتى مجال دراسات علم النفس فإنها غالباً ما تنحو نحو الاتجاه المادي، وتتجاهل العمق الروحي المعنوي.

ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا: إن الرسالات والشرائع الدينية الإلهية إنما جاءت للاهتمام بهذا المجال الأساس قبل غيره لأولويته على المجالين الآخرين، ولعلم اللّه تعالى بضعف البشر وتساهلهم فيه. فحينما يتحدث القرآن الحكيم عن أهداف بعثة رسول اللّه ﷺ فإنه يضع هدف التزكية النفسية في المقام الأول، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

ورسول اللّه ﷺ يعتبر أن دوره الأساس ومهمته الرئيس هي إنضاج وإكمال المستوى الروحي النفسي الذي تنبثق عنه أخلاق الإنسان وسلوكياته، يقول ﷺ في الحديث المتواتر المشهور: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

لذلك فإن الثروة المعنوية والكنوز الروحية في الإسلام عظيمة وهائلة، وإنسان هذا العصر طغت فيه المادة، وسادت أجواءه الشهواتُ والأهواء، هذا الإنسان يعاني الآن فراغاً قاتلاً، وإهمالاً خطيراً في التوجه إلى خبايا أعماق نفسه، واكتشاف زواياها وجوانبها.

وما آلام البشر ومآسيهم المحزنة في هذا العصر التي تتجلى في الحروب المدمرة، والاعتداءات الظالمة، والتمييز العنصري، والفقر

والجوع المميت، والجرائم البشعة المنتشرة، والفساد الأخلاقي الفتّاك، وانتهاك حقوق الإنسان، كل ذلك ما هو إلا نتيجة طبيعية للفراغ الروحي والانحرافات النفسية.

إن البشرية اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، في حاجة ماسّة لثروات الإسلام الروحية وكنوزه المعنوية .. وهنا يأتي دور المسلمين في اكتشاف تلك الكنوز وكشفها للعالم.

غير أن المؤسف في الأمر ما يعانيه أكثر المسلمين من بُعد وابتعاد عن قيم دينهم وتعاليم شريعتهم حتى كادوا أن يساووا غيرهم في الجهل بمعالم الدين والتنكر لأحكامه مع تفوق الآخرين عليهم بالتقدم المادي.

ومع اليقظة الدينية الجديدة والصحوة الإسلامية المباركة التي يهبُّ نسيمها على المسلمين الآن، كان لا بد من التوجه والاهتمام بالبعد الروحي الأخلاقي في الثقافة الإسلامية.

وهذه السطور المتواضعة بين يديك ـ أيها القارئ العزيز ـ هي محاولة بسيطة للمشاركة في الاهتمام بهذا الجانب الخطير، وكانت في الأساس مجموعة من الأحاديث والمحاضرات ألقيتها في فترات مختلفة، وقد نالت تسجيلاتها رواجاً وإقبالاً يكشف عن تلهف الجمهور لهذا النوع من الأحاديث، مما شجّع بعض الأخوة المؤمنين على كتابتها وتقديمها للطبع والنشر بعد شيء من التصحيح والتهذيب.. وإذ أقدمها اليوم مع تعديلات وتنقيحات لأعتذر للقارئ من غلبة طابع الأسلوب الخطابي

على مواضيعها، وأضرع إلى الباري سبحانه أن يجعلني من المتعظين بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها المؤمنين، وله الشكر والحمد على نعمه وتوفيقه.

**المؤلف**

**١ شعبان ١٤١١هـ**

# الفصل الأول

# منطقة الخطر

قال اللّه العظيم في كتابه الحكيم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[١].

صدق اللّه العلي العظيم

لشخصية الإنسان في هذه الحياة ثلاثة أبعاد، ومن مجموع التفاعل بين هذه الأبعاد الثلاثة تتكون شخصية الإنسان:

**البعد الأول: العقل.**

**البعد الثاني: النفس.**

**البعد الثالث: الجسد.**

أما الروح فهي وعاء يشمل هذه الأبعاد جميعاً. ولعلنا بحاجة إلى تحديد ما نقصد من هذه المصطلحات، فماذا نقصد بالروح؟ وماذا نقصد بالعقل ؟ وماذا نقصد بالنفس؟

أما الجسد فأمره واضح ولا يحتاج إلى شرح وتحديد، ذلك لأن هذه المصطلحات كثيراً ما تدور حولها معارك ضارية بين الفلاسفة والعلماء

---

(١) سورة الشمس: الآيات ٧ ـ ١٠.

والمتكلمين لتحديد المقصود من كل مصطلح.

### معنى الروح:

إننا نقصد بالروح هنا تلك القوة التي تبعث الحياة في الإنسان وتنبع منها الحياة، والتي بمفارقتها للجسم تنتهي حياة الإنسان في هذه الدار الدنيا.

هذا ما نقصده بالروح، ولذلك قلنا: إنها وعاء يشمل العقل والنفس والجسد؛ لأنه من دون الروح التي تعطي الحياة أيّ عقل يكون؟! أو أية نفس تمارس دورها؟! وأيّ جسد يتحرك؟! وإذا انتهت إقامة الروح في جسد الإنسان في هذه الدنيا انتهى وجوده منها أيضاً وانتقل إلى عالم آخر.

### ما هو العقل؟

نقصد به ذلك (النور الذي يميز الإنسان به بين الحق والباطل)، بين الشر والخير، بين الممكن والمستحيل، وبعبارة أخرى هو قوة الإدراك والتمييز والمعرفة، فبالعقل يدرك الإنسان ويميز ويقيّم الأشياء.

### تعريف النفس:

أما النفس فهناك اختلاف كبير عند الفلاسفة في تحديد المقصود منها حتى إن بعضهم أنهى تعريفات النفس إلى أربعين تعريفاً، حتى قال الشاعر:

**قد حار في النفس جميع الورى والفكر فيها قد غدا ضائعا**
**وبرهن الكل على ما ادعوا وليس برهانهم قاطعا**
**من جهل الصنعة عجزاً فما أجدر أن يجهل الصانعا**

ولكننا نقصد بالنفس هنا: (مركز العواطف والميول والشهوات لدى الإنسان). والقرآن يطلق عليها تارة عنوان (النفس)، ويطلق عليها تارة أخرى اسم (القلب).

**بين النفس والعقل:**

بالعقل تدرك الأشياء فتعرف أن هذا الأمر ممكن وذاك مستحيل، وأن واحداً زائداً واحداً يساوي اثنين، واثنين في اثنين يساوي أربعة، العقل هو الوحيد القادر على إدراك هذه الأشياء، فالعلم والمعرفة والتقييم والحكم على الأشياء كلها تكون بواسطة العقل.

أما النفس ففيها عواطف الإنسان مثل الحب والبغض، فالحب وحب الذات والأنانية والخوف وجميع العواطف والأحاسيس تنبع من النفس، إذن فهناك فرق واضح بين العقل والنفس.

والنفس بهذا المعنى تعتبر أخطر منطقة في شخصية الإنسان؛ فهي مصدر سعادته أو شقائه، وكما يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، النفس التي هي مركز الميول والعواطف والرغبات بإمكانها أن توجه الإنسان نحو السعادة، وبإمكانها أن تنحرف بالإنسان وتنزلق به في

هاوية الشقاء والفساد والانحراف.

## أين دور العقل؟

العقل ليس له دور حاكم مثل النفس . . . لماذا؟

لأن العقل يدرك الأشياء ويقيمها، يدرك مثلاً أن العمل والنشاط جيد وأن الكسل سيئ، ويدرك أن العدل حسن والظلم قبيح. فدور العقل في حياة الإنسان هو دور الإدراك والتقييم، ولكن النفس تتخذ الموقف، وهي التي تبادر وتمتلك زمام الموقف؛ فبيدها أن تصدق وتعمل بما يقوله العقل أو تنحرف وتزيغ عما يقوله. لذلك فإن القرآن الحكيم يشير إلى هذه الناحية فيقول: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[١]، فمن الناحية العقلية أصدر العقل حكمه وقال لهم: إن هذه الحقائق صحيحة وثابتة وواجبة، ولكنهم جحدوا بها مع تيقن أنفسهم بصحتها.. لماذا؟ لأن أهواءهم النفسية وعواطفهم الشهوانية لم تسمح لهم بأن يطبقوا كلام العقل.

وفي آية أخرى يقول القرآن الحكيم: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢] انظروا وتدبروا؛ إنهم يعلمون، فعقولهم قررت أن هذا الشيء حق، العقل أدرك صواب وأحقية هذا الأمر وقال للإنسان: يا إنسان هذا حق، ولكن الهوى والشهوات والعواطف هي التي تجعل الإنسان ينحرف عما يقرره العقل ويكتم الحق ويتستر عليه.

---

(١) سورة النمل: الآية ١٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧١.

وهناك أمثلة وأحاديث كثيرة تدل على أن العقل قد يصبح آلة بيد النفس تقوده وتأمره، العقل هذه القوة العظيمة يصبح أداةً بيد النفس وزورقاً تتقاذفه رياح الشهوات وأهواء النفس يميناً ويساراً فتستخدمه فيما تريد.

### كيف يؤسر العقل؟

في البداية، العقل يعطي رأيه يقول لك: الصيام أمر حسن، ومن الجيد أن تصوم، هذا ما يقوله لك العقل، ولكن النفس قد لا تسمح بالصيام، والعواطف والأهواء والشهوات أمور تجنح بك نحو الإفطار، وحينما تريد أن تفطر تحتاج للتفكير في أفضل وسيلة للإفطار، وأحسن طعام تتناوله، وكيف تستطيع أن تحصّل الطعام، هنا لا بد أن تستخدم عقلك.

عقلك قال لك: لا تفطر وصم، ولكن نفسك قررت الإفطار، وعندما قررت ذلك استخدمت العقل، العقل يقول لك: أنت تريد أن تفطر وأنا لست موافقاً على إفطارك، أنا أقول لك: صُمْ، فتجيبه النفس وهي تنهره بعنفٍ وحدةٍ: وما شأنك؟ أنت أبديت رأيك وانتهى دورك، وليس لك شأن في هذا، والمطلوب أن تبتكر طريقة لتحصيل الطعام وأن تبتدع وسيلة لتحصيل الشهوة.

فيقف العقل عند حدوده ويجيب: نعم، أنا في الخدمة، فيطيع النفس ويدلها على الوسائل والأساليب.

وإليك مثالاً آخر: العقل يقول: السرقة أمر قبيح، فتعترضه النفس وتقرر السرقة، ولكن السرقة تحتاج إلى خطة، فمن الذي يضع الخطة؟ إنه العقل.

فتقول النفس للعقل: أنا صممت على السرقة وعليك الآن أن تضع خطة للسرقة، والعقل يحتج بعدم موافقته، وأن السرقة شيء غير جيد، فتنهره النفس: دعك من هذا انتهى دورك وأنا الآن قررت السرقة ويجب عليك أن تضع خطة للسرقة، فيطيعها العقل ويصبح آلة في خدمة أهواء النفس.

وللإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كلمات جميلة ورائعة تعبر عن هذه الحقيقة، يقول فيها: (وكم من عقل أسير تحت هوى أمير)[1].

العقل أسيرٌ ولكن عند مَنْ؟

إنه أسير عند الهوى المتأمر في حياة الإنسان؛ فيأمر العقل ويصبح أسيراً تحت سيطرته. ويقول عليه السلام: (أكثر مصارع العقول تحت بُروق المطامع)[2].

وفي كلمة أخرى يشير الإمام علي عليه السلام إلى أن العقل إنما يمارس دوره القيادي الصحيح في حياة الإنسان إذا لم تقيده الأهواء ورغبات الدنيا، حيث يقول: (شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم: ٢١١.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم الحكمة رقم: ٢١٩.

علائق الدنيا)[١].

كما يتحدث الإمام ﵇ عن حدوث حالة اختراق الشهوات لعقل الإنسان فيقول: (قد خرقت الشهوات عقله)[٢].

وعنه ﵇: (ذهاب العقل بين الهوى والشهوة)[٣].

ويقول أيضاً: (عدو العقل الهوى)[٤].

إذن النفس لها قدرة التحكم بالعقل واستخدامه، ومن هنا تبرز أهمية النفس ويكمن الخطر، ومن هنا نجد القرآن الحكيم يعلق سعادة الإنسان وفلاحه ونجاحه على مدى سلامة نفسه، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٥]، إذن فالمسألة مسألة النفس، من يزكي نفسه فقد فاز فوزاً عظيماً، لذا يجب أن نولي قضية صحة النفس وسلامتها أهمية كبرى.

### ثغرة المنطق الإغريقي:

قالوا في تعريف علم المنطق بأنه: (آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر)[٦]، وقالوا عن تحديد وظيفته وغايته بأنها تجنب الخطأ وتصحيح الأفكار. (إذن فحاجتنا إلى المنطق هي تصحيح

---

(١) نهج البلاغة، كتاب رقم ٣.
(٢) نهج البلاغة، خطبة: ١٠٩.
(٣) محمد الريشهري. ميزان الحكمة: ج٦، ص٤٣١.
(٤) ميزان الحكمة: ج٦، ص٤٣٦.
(٥) سورة النازعات: الآية ٤١.
(٦) المظفر: المنطق، ص١٠.

أفكارنا)[١]، ويرى ابن حزم الأندلسي: أن علم المنطق (يقف على الحقائق كلها ويميزها من الأباطيل تمييزاً لا يبقى معه ريب)[٢].

ولكن المنطق الإغريقي المتداول الذي رتب مسائله وفصوله الفيلسوف أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق. م) هل يؤدي هذا الدور ويقوم بهذه الوظيفة؟

كلا، فهو قد اقتصر على الاهتمام بشكل التفكير وصوره؛ لذلك عُرِف بالمنطق الشكلي والصوري، ولم يتعداها للبحث عن الخلفيات والتأثيرات النفسية على فكر الإنسان.

يقول العلامة المدرسي: (يُقَيَّم هذا المنطق بأنه نظَّم مسيرة الفكر الإنساني في قبال التطرف والفوضى والسفسطة، ولكنه من جهة أخرى قيَّد هذا الفكر بتركيزه الكبير على الجانب الصوري منه، أي أنه لم يحاول البحث عن مصدر الأفكار بمقدار ما كرّس بحوثه حول علاقة الأفكار ببعضها، وكان مثله مثل من يبذل جهده في جمع الأعداد وتفريقها دون أن يفكر فيما وراء هذه الأعداد من حقائق تدل عليها. فمنطق أرسطو الشكلي باهتمامه بشكل التفكير وإغفاله البحث عن مادة التفكير وموضوعه سَبَّبَ تناسي دور السلبيات البشرية التي تدعو إلى الضلالة، كما تناسى دور العقل في تحدي هذه السلبيات؛ ولذلك لم يوفق هذا المنطق لإعطاء الإنسان مزيداً من التقدم الفكري)[٣].

---

(١) المظفر: المنطق، ص١٠.

(٢) الدكتور مهدي فضل اللّه: مدخل إلى علم المنطق، ص٢٠.

(٣) العلامة السيد محمد تقي المدرسي: المنطق الإسلامي، ص٥٥.

(يتصور الرأي السائد في المنطق أن مشكلة الإنسان في العلم، هي مشكلة عقلية محضة، يمكن حلها بوضع قواعد لتنظيم عملية التفكير، إلا أن الحقيقة: أن المشكلة هي مشكلة نفسية، قبل أن تكون عقلية، ولذلك فنحن بحاجة إلى معالجة النفس البشرية، قبل أن نضع قواعد لعقله، وتنظيم فكره، ذلك لأن النفس البشرية قد تستأثر بإرادة الإنسان، وتوجهها إلى حيث تتحرك أهواؤها، وهنالك تبقى قدرة الإنسان على التفكير معطلة رأساً، ولا تغنيه القواعد الموضوعة لتنظيم فكره)[١].

**الاهتمام بالنفس:**

البعض قد يصرفون اهتماماتهم ويولون عنايتهم لعقولهم فيزودون عقولهم بالمعلومات والأفكار فيخدمون عقولهم كثيراً، وبعض الناس يخدمون أجسامهم كثيراً فيقدمون لها الطعام والشراب واللذات والراحة، ولكن كثيراً من الناس يتساهلون مع أنفسهم مع أنه لا قيمة للعقل ولا قيمة للجسد إن لم تكن النفس سليمة، فإذا كانت النفس مريضة فإنها تستخدم العقل استخداماً سيئاً يؤدي بالجسد إلى الهلكة، ولو راجعنا التاريخ ونظرنا إلى الواقع المعاصر لوجدنا أن أشخاصاً لديهم القدرة الكبيرة في الجانب العلمي والعقلي وعقولهم تختزن معلومات واسعة جداً، ولكنهم في أسفل الدرك من الشقاء والانحطاط، وأبرز مثال على ذلك هو (إبليس)، فهل كان انحطاطه وشقاؤه لقلة علمه؟

كـــلا ...

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٧.

لم تكن مشكلة إبليس في جهله أو قلة معلوماته، بالعكس، فهو في هذا الجانب كان متفوقاً، وكان عالماً كبيراً يعلم أشياء لا نعلمها نحن ولم نطلع عليها، ولكن من أين أُدين؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[١]، مقتله كان التكبر، والتكبر حالة نفسية وليست عقلية؛ لذلك لم يستطع أن يستفيد من علمه وعقله، وكثير من الذين انحرفوا، وكثير من الذين شقوا، المشكلة التي كانت عندهم ليست مشكلة قلة العلم والمعرفة وإنما هي مرض النفس.

وسلام عليك يا أبا الحسن حين قلت: (ومَنْ لم يُهذِّب نفسه لم ينتفع بعقله).

وفي كلمة أخرى يقول الإمام علي عليه السلام: (مَنْ جانب هواه صح عقله)[٢].

ويشير الإمام علي عليه السلام إلى تأثير الأمراض النفسية على العقل وأدائه لدوره القيادي في حياة الإنسان فيقول: (واعلموا أن الأمل يسهي العقل)[٣]، (عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله)[٤].

من هنا يجب أن نولي جانب النفس أهمية قصوى؛ فالنفس إذا كانت مصابه بالأمراض كالتكبر والغرور والخوف والجبن والكسل والأنانية والحقد وما أشبه، فكل شيء لا يفيد، قال اللّه تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٢) ميزان الحكمة: ج٦، ص٤٣٦.

(٣) نهج البلاغة خطبة: ٨٦.

(٤) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم: ٢١٢.

آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ﴾[1] أي إنه حتى الإيمان لا يُوَفَّقُون له، فالذين لم يؤمنوا بالأنبياء والرسل هل كانت عقولهم مريضة وعاجزة عن المعرفة؟

كلا، بل كانت المشكلة تكمن في نفوسهم حيث مرض التكبر وسيطرة الأهواء.

## مسؤوليتنا تجاه النفس:

إننا قد نصرف أوقاتاً على تقديم العلم والمعرفة لعقولنا، وقد نصرف وقتاً طويلاً على تقديم الراحة واللذة لأجسامنا ولكن كم نصرف لحماية أنفسنا ولوقايتها من الأمراض النفسية؟

الذين يدرسون في الجامعات الغربية والشرقية في المجالات التي يتوجهون إليها، عقولهم ضخمة، إن الإنسان ليشعر بالضعة والحقارة أمام تلك العقول الجبارة التي تصمم هذه الآلات والتي تبتكر هذه الوسائل والآليات الإلكترونية الحديثة، انظروا إلى ما ينتجه الغرب من آلات ووسائل ومن تقدم علمي، هذا عمل عقلي ضخم جداً، ولكن إلى جانب ذلك تترعرع الأمراض والسلبيات والأخطاء في تلك النفوس فتجعل تلك العقول وتلك الأجساد حطباً للشقاء في الدنيا، وحطباً لجهنم في الآخرة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.

**التصور الخاطئ:**

في بعض الأوقات يخطئ الإنسان فيتصور أن الوقت الذي يصرفه على سلامة نفسه وقت ضائع، مثلاً: إنك حين تذهب إلى المقبرة لتشييع جنازة مؤمن تصرف وقتاً في الذهاب والرجوع والبقاء في المقبرة، هذا الوقت قد تتصور أنك لو صرفته في سبيل نشاط عقلي حيث تطالع كتاباً، أو تفكر في موضوع تفيد به عقلك لكان أفضل، ولكن هل المطلوب مني فقط إفادة عقلي؟ هل المطلوب مني فقد توفير المعلومات والخدمات للعقل؟ ونفسي أين هي؟ وكيف صحتها ووضعها؟

يجب أن أصرف وقتاً من أجل تزكية نفسي وهذا هو سر العبادات الإسلامية وسر التوجيه إليها، إنك تصرف وقتاً على الصلاة والدعاء وعلى تشييع جنائز الموتى ولمحاسبة النفس تطبيقاً للرواية الشريفة عن الإمام الكاظم عليه السلام: (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عَمِلَ خيراً استزاد اللّه منه وحمد اللّه عليه، وإن عَمِلَ شراً استغفر اللّه منه وتاب إليه)[1].

إذا لم يكن هناك توازن بين تقدم علم الإنسان وتوسع محيط إدراكه وعقله مع سلامة نفسه فهناك خطر كبير على مستقبل الإنسان. فيجب أن نهتم بسلامة أنفسنا وليكن من براجمنا فترة للعناية بها.

(١) ميزان الحكمة: ج٢، ص٤٠٧.

# الفصل الثاني

# خطورة النفس في منطق الإسلام

(١)

## النفس أمارة بالسوء

طبيعة النفس بما تنطوي عليه من رغبات وشهوات أنها تدفع بالإنسان نحو المفاسد والانحرافات، من أجل تحصيل الملذات وإشباع الأهواء، وإذا ما سيطرت الشهوات على النفس، ولم تكن للإنسان إرادة رادعة، ولا مقاومة حصينة، فستهوي به شهواته إلى مكان سحيق، على حساب مستقبله، ومختلف جوانب مصلحته الدنيوية والأخروية.

وقد قرأت هذه الأيام خبراً نشرته جريدة (الحياة) التي تصدر في لندن يصلح شاهداً ونموذجاً على مدى ما يصل إليه الإنسان من انحطاط وخسة إذا انقاد إلى أهواء نفسه وشهواتها.

تقول الجريدة في عدد الصادر بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٩١ ـ ١٢/ ٧/ ١٤١١هـ ما يلي:

من دلائل التفكك الاجتماعي والضياع الخلقي اللذين يتخبط بهما الجيل الجديد في أمريكا ما شهدته محكمة شيكاغو الأسبوع الماضي حين أصدرت

حكماً بالسجن على والدة شابة حبست طفلتها في صندوق سيارتها من أجل دخولها إلى الملهى الليلي للقاء (صديقها).

وقد أفادت باتريسيا (٢٩ عاماً) أنها كانت على موعد مع (صديقها) في أحد الملاهي الليلية ولم تتمكن من إيجاد مربية تسهر على طفلتها جايني (ثمانية أشهر) من زوجها السابق الذي طلقته بعد ثلاثة أشهر من ولادة الطفلة. وقالت في مركز الشرطة: (لا أفهم لماذا تظلمونني بهذا الشكل، فقد مددت طفلتي على بساط في صندوق السيارة، وتركت لها قربها جهاز راديو كي تلهو بسماع الموسيقى فلا تخاف من الصمت والظلمة).

واكتشف المحققون أن المرأة تركت ابنتها طوال ثلاث ساعات في صندوق السيارة، فيما أصرت على أنها كانت تتفقد ابنتها كل نصف ساعة: (كنت أستأذن صديقي بحجة الذهاب إلى الحمام، وأخرج لأتفقد جايني، لكنه شك في الأمر بعد بضع مرات ولم يعد يسمح لي بالخروج).

وأفاد الشاهد جون نولاند العامل في مطعم بيتزا أنه مرّ قرب السيارة مرتين، وسمع صراخ طفل لكن لم يخطر بباله أنه في صندوق السيارة.

أما ريجينا جاكسون التي اتصلت بشرطة شيكاغو فقالت في إفادتها: (ظننت للوهلة الأولى أن في صندوق السيارة قطة تموء بهذا الصوت المخنوق، ثم اقتربت أكثر وأرهفت السمع حتى تأكدت أنه صراخ طفل).

ولدى تلقي المخابرة هرع رجال الشرطة إلى المكان وفتحوا صندوق السيارة ليجدوا الطفلة على شفير الاختناق من شدة البكاء وانقطاع

الهواء. فأخذوها وسحبوا السيارة بالقاطرة.

وبعد دقائق طويلة وصلت باتريسيا تتفقد ابنتها فأخذت تصرخ بأن ثمة من خطف ابنتها وسرق سيارتها، سوى أنها لم تصرخ طويلاً لأن رجال الشرطة كانوا يترصدون على مقربة من المكان فاعتقلوها. وحين أخبروها بأنهم أخذوا طفلتها إلى بين الأحداث أخذت تصيح بهم متوعدة بالادعاء عليهم بتهمة خطف ابنتها وسرقة سيارتها، ولم تهدأ إلا على صدمة سماعها من قائد الفرقة: (أنت موقوفة يا سيدتي بتهمة إهمال ابنتك وتعريضها للموت).

هكذا تكون النفس أمارة بالسوء، ولذلك تحذرنا النصوص الدينية من هذه الطبيعة المتأصلة في النفس، وتدعونا إلى التسلح بالوعي والإرادة، لنصمد أمام الإغراءات، ونتمرد على أوامر الشهوات والأهواء:

١. يقول القرآن الحكيم نقلاً عن نبي اللّه يوسف الصديق ﷷ، الذي ضرب أروع الأمثلة في الصمود أمام الشهوة، والثبات أمام الإغراء، ولكنه مع ذلك يؤكد الطبيعة النفسية الدافعة نحو السوء، وأن التقوى هي وحدها وسيلة النجاة، وملجأ الخلاص، وهي التجسيد لرحمة اللّه.

يقول تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

٢. ويشير الإمام علي ﷷ إلى ما يحل بالإنسان ويصيبه إذا ما تجاهل

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

طبيعة نفسه الأمارة بالسوء، وتعامل معها بانقياد مطلق وثقة عمياء، حيث يقول:

(إن النفس لأمارة بالسوء والفحشاء، فمن ائتمنها خانته، ومن استنام إليها أهلكته، ومن رضي عنها أوردته شر المورد)[١].

٣. ويقول الإمام علي عليه السلام: (إن هذه النفس لأمارة بالسوء فمن أهملها جمحت به إلى المآثم)[٢].

٤. وتتوسل نفس الإنسان بالخداع والإغراء، لإيقاع الإنسان في شبك المعصية والحرام. على الإنسان أن يكون يقظاً حذراً، وألاّ يمنح ثقته ويسلم قياده لأهواء نفسه، يقول الإمام علي عليه السلام: (إن نفسك لخدوع، إن تثق يقتدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم)[٣].

٥. وفي عهده الذي كتبه لمالك الأشتر لمَّا ولاّه مصر يقول الإمام علي عليه السلام: (وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعجها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم اللّه)[٤].

٦. أما الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فإنه ينبه الإنسان ويحذره من طبيعة نفسه، بأسلوب تربوي حكيم، عبر المناجاة والتضرع إلى اللّه سبحانه، فيقول في مناجاته المعروفة بمناجاة

---

(١) ميزان الحكمة: ج١٠، ص١٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نهج البلاغة، كتاب: ٥٣.

الشاكين:

(إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسّها الشرُّ تجزع، وإن مسّها الخير تمنع، ميّالة إلى اللعب واللّهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة، وتسوفني بالتوبة)[١].

٧. وكم في التاريخ من أفراد ومن تجمعات كانوا ضحايا وقرابين لانخداعهم واغترارهم بنفوسهم الأمارة بالسوء، وقتلى الخوارج في واقعة النهروان، الذين يقارب عددهم الأربعة آلاف شخصاً، هم نموذج واضح لهذه الحقيقة، فقد كانوا من أنصار الإمام علي عليه السلام ومن أصحابه، ولكنهم في لحظة غفلة وضلال، استحوذ عليهم الشيطان، وأسلموا قيادهم للنفس الأمارة بالسوء!!.

يقول الإمام علي عليه السلام وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان: (بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غرّكم).

فقيل له: مَنْ غرّهم يا أمير المؤمنين؟

فقال: (الشيطان المضل، والأنفس الأمارة بالسوء، وغرّتهم بالأماني وفسحت لهم بالمعاصي، ووعدتهم الإظهار، فاقتحمت بهم النار)[٢].

---

(١) الصحيفة السجادية، المناجاة الثانية.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٢٣.

( ٢ )

## الجهاد الأكبر . . جهاد النفس

إن أكبر وأصعب امتحان كتبه اللّه تعالى على الإنسان في هذه الحياة هو ابتلاؤه بنفسه، وعلى أساس نجاح الإنسان وتفوقه في هذا الامتحان يكون موقعه عند اللّه، ومستقبله الدنيوي والأخروي. من هنا كانت المعركة مع النفس أشق وأخطر معركة يخوضها الإنسان في حياته.

أ. فهي معركة حتمية لا خيار لأحد فيها ولا يستثنى أحد منها، حتى الأنبياء والأوصياء والأولياء. وإذا كان الإنسان يستطيع اجتناب المعارك والصراعات مع الآخرين بطريقة أو أخرى فإنه لا فرار له من معركته مع نفسه.

ب. هي معركة دائمة مساحتها طوال عمر الإنسان منذ أن يدركه الوعي وإلى أن تفارقه الحياة. ويحصل أن يكسب إنسان المعركة ضد نفسه طيلة حياته ثم يخسرها في اللحظات الأخيرة من عمره!!

ج. كذلك فإنها معركة شاملة تستوعب كل جوانب حياة الإنسان، ومختلف شؤونه، وتمتد إلى جميع الزوايا والتفاصيل، فكراً وإحساساً، وعملاً وقولاً، وإشارة وصمتاً؛ حيث إن خطر الأهواء والشهوات النفسية يهدد سلامة معتقد الإنسان وأفكاره، وصحة مشاعره وأحاسيسه، وصدق أقواله ومواقفه، واستقامة تعامله وعلاقاته.

د. والأدهى من كل ذلك قوة الارتباط وشدة العلاقة ووثاقتها بين الإنسان ونفسه، فالنفس أقرب شيء للإنسان، وهي متداخلة معه وملتصقة به. وكم هو صعب على الإنسان أن يعايش عدوه ويتداخل معه، ويكون قريباً منه ووثيق الصلة به!

لكل ذلك تصبح المعركة مع النفس أخطر معركة، ويصدق تماماً ما قاله رسول اللّه ﷺ من أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، وهذا ما تؤكده النصوص التالية:

١. يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١].

فالمنتصر على نفسه في معركته الحتمية الدائمة الشاملة معها يستحق الجائزة الكبرى وهي الجنة، والوصول إلى الجنة يستحق من الإنسان كل ذلك التعب والمشقة والعناء.

٢. وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إن رسول

(١) سورة النازعات: الآية ٤٠.

اللّه ﷺ بعث سريَّة ـ فرقة عسكرية ـ فلما رجعوا قال: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر».

قيل: يا رسول وما الجهاد الأكبر؟

قال: (جهاد النفس)، ثم قال: (أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)[١].

ولعل الفقرة الأخيرة إشارة إلى أحد جوانب خطورة المعركة مع النفس، وهو التداخل والالتصاق الذي تحدثنا عنه، فهي عدو داخل الإنسان وبين جنبيه!!

٣. عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[٢].

٤. عن فضالة بن عبيد قال: (سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: المجاهد من جاهد نفسه)[٣].

٥. ويقول الإمام علي عليه السلام: (أشجع الناس من غلب هواه).

٦. وعن الإمام علي عليه السلام: (املكوا أنفسكم بدوام جهادها)[٤].

٧. وعنه أيضاً عليه السلام: (صلاح النفس مجاهدة الهوى)[٥].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٠، ص٦٤.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، الحديث رقم: ٥٧٦٣.
(٣) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، الحديث رقم: ١٦٢١.
(٤) ميزان الحكمة، ج١٠، ص١٤٣.
(٥) المصدر السابق.

٨. ويتحدث الإمام علي ﷺ عن بعض التكتيكات في المعركة مع النفس قائلاً: (إذا صعبت عليك نفسك فاصعب لها تذلّ لك، وخادع نفسك عن نفسك تنقد لك)[١].

فعلى الإنسان أن لا ينهزم بسرعة أمام صعوبة المعركة، ولا أن يستجيب لخداع العدو، وبصموده تنهزم أهواء النفس وتنهار ذليلة خانعة، وبوعيه يفوّت الفرصة على الإغراءات ويخدعها.

٩. ويقول الإمام علي ﷺ: (أقبل على نفسك بالإدبار عنها)[٢] ذلك أن الإقبال على النفس بالاستجابة لرغباتها مهلك للإنسان ونفسه، بينما التعامل مع النفس بالتنكر لأهوائها هو لمصلحة النفس.

١٠. وعنه أيضاً ﷺ: (دواء النفس الصوم عن الهوى والحمية عن لذات الدنيا)[٣].

١١. وفي إحدى خطبه يقول الإمام علي ﷺ:

(واعلموا أنه ما من طاعة اللّه شيء إلا يأتي في كُره، وما من معصية اللّه شيء إلا يأتي في شهوة، فرحم اللّه امرؤاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق، ص١٤٤.
(٣) المصدر السابق.

واعلموا ـ عباد اللّه ـ أن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه ظنون عنده، فلا يزال زارياً عليها، مستزيداً لها)[١].

١٢. وفي وصية قدمها إلى شريح بن هاني يقول الإمام علي ﷺ: (اتق اللّه في كل صباح ومساء، وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال، واعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب، مخافة مكروه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً)[٢].

١٣. وقول الإمام علي ﷺ: (أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه)[٣] لأن خلفية العمل، وهي الانتصار على النفس ومخالفتها، أهم من ذات العمل.

١٤. ويؤكد الإمام علي ﷺ الدور الحاسم لذات الإنسان في مقاومة نفسه، فيقول: (واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ)[٤].

١٥. ويقول الإمام علي ﷺ: (وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر)[٥].

---

(١) نهج البلاغة خطبة: ١٧٦.
(٢) نهج البلاغة وصية رقم: ٥٦.
(٣) المصدر السابق: قصار الحكم: ٢٤٩.
(٤) المصدر السابق: خطبة ٩٠.
(٥) المصدر السابق: كتاب: ٤٥.

كما سبق أن أشرنا، فالمعركة مع النفس لا يستثنى منها أحد، فهذا علي عليه السلام مع عظمته ومكانته إلا أنه ممتحن بنفسه كسائر البشر، ولعل من أسرار عظمته نجاحه المميز في الانتصار على نفسه.

١٦. ويقول أيضاً عليه السلام: (خدمة الجسد إعطاؤه ما يستدعيه من الملاذ والشهوات والمقتنيات وفي ذلك هلاك النفس)[١].

١٧. وتسليطاً للضوء على طبيعة المعركة مع النفس وتحديد أطرافها ومواقعها، يقول الإمام علي عليه السلام: (العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجاذبة بينهما فأيهما غلب كانت في حيزه)[٢].

١٨. وفي حديث آخر بنفس المضمون يقول عليه السلام: (العقل والشهوة ضدان، مؤيد العقل العلم، ومزين الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما فأيهما قهر كانت في جانبه)[٣].

فالعقل هو رائد معركة الإنسان ضد نفسه، والعلم والمعرفة سلاح رئيس في هذه المعركة، ولكل من طرفي المعركة، وهما العقل والهوى، جنود وأسلحة فهما جيشان: جيش الرحمن وجيش الشيطان يتصارعان على أرض نفس الإنسان.

---

(١) ميزان الحكمة: ج١٠، ص١٤٧.
(٢) المصدر السابق: ج٧، ص٤٠٥.
(٣) المصدر السابق.

(٣)

## النفس وتأثيرها المصيري على الإنسان

حياة الإنسان الدنيوية ومستقبله الأخروي كلاهما رهين نفسه وخاضع لتأثير حالته النفسية، فإذا ما صفت النفس وانقادت لتوجيه العقل ضمن الإنسان سعادته في الدارين، وإذا ما حصل العكس من ذلك بسيطرة أهواء النفس وشهواتها على قرار الإنسان، فإن الشقاء سيلف حياته في الدنيا والآخرة.

والنصوص الدينية تؤكد هذه الحقيقة وتسلط الأضواء على براهينها وأبعادها كما يأتي:

١. يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَ﴾[١].

ففلاح الإنسان ونجاحه يرتبط بتزكيته لنفسه، والخيبة والدمار نتيجة حتمية لتمركز الانحرافات وتلويثها للنفس، وكما أن النفس تتقبل

---

(١) سورة الشمس: الآيات ٧ ـ ١٠.

التزكية بالتقوى، فإنها مهيأة للانحراف والفجور.

٢. يقول الإمام علي عليه السلام: (ولا يَلُمْ لائمٌ إلا نفسَه)[1]، فالنفس هي التي تصنع مستقبل الإنسان، وإذا ما لاحظ الإنسان سوءاً في مصيره ومستقبله، فلا يتحمل مسؤولية ذلك إلا نفسه.

(١) نهج البلاغة خطبة: ١٦.

( ٤ )

## من أمراض النفس

إنما تنبع الأسواء والمشاكل من تلك الحالات المرضية، التي تحدث في النفس، وتنمو وتترعرع في حناياها، فما هي تلك الحالات المرضية؟ وكيف يعالجها الإنسان؟

هذا ما تتحدث عنه بعض النصوص الدينية التالية:

١. جرأة الإنسان على قتل أخيه الإنسان ومصادرة حقه في الحياة تعتبر أكبر جريمة بشعة، وإنما يقوم بها الإنسان على بشاعتها نتيجة حالة نفسية مرضية، ويتحدث القرآن الحكيم عن أول جريمة قتل وقعت على الأرض حيث قتل قابيل بن آدم هابيل، وينسب القرآن هذه الجريمة إلى النفس. يقول تعالى:
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

٢. والخوف حالة نفسية، يقول تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٠.

مُوسَى قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾[١].

٣. والبخل مرض نفسي، يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

٤. والنفس هي التي تزين للإنسان وتدفعه للارتداد عن الدين وسوء التعامل مع قضاياه، كما حصل للسامريّ، صاحب نبي اللّه موسى ﷷ، الذي أضل المؤمنين بتوجيههم لعبادة عجل صنعه من الحليّ، يقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٣].

٥. وأهواء النفس سبب مخالفة الأنبياء والعدوان عليهم، يقول تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[٤].

٦. وإخوة نبي اللّه يوسف ﷷ إنما قاموا تجاهه بتلك الجريمة النكراء، حيث ألقوه في قاع الجبّ، وهو ذلك الصغير الوديع المتفرد في جماله وحسنه، إنما صنعوا ذلك لانحراف نفسي أصابهم، يقول تعالى على لسان أبيهم يعقوب ﷷ:

---

(١) سورة طه: الآية ٦٨.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٦.

(٣) سورة طه: الآية ٩٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[١].

٧. والحسد حالة مرضية نفسية بين الأفراد أو الأمم والمجتمعات، يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾[٢].

٨. والتكبر مرض يعشعش في أرجاء النفس، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[٣].

٩. والإعراض عن دين اللّه ورسالة الأنبياء إنما ينشأ من حالة انحراف نفسي يطلق عليه القرآن (سفاهة)، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[٤].

١٠. ويقول الإمام علي عليه السلام: (آفة النفس الوله بالدنيا)[٥].

١١. ويقول أيضاً عليه السلام: (عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله)[٦].

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.
(٣) سور الفرقان: الآية ٢١.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٠.
(٥) ميزان الحكمة: ج١٠، ص١٤٧.
(٦) نهج البلاغة: قصار الحكم، الحكمة رقم: ٢١٢.

( ٥ )

## إصلاح النفس أولاً

أول وأهم قضية يجب أن يتوجه إليها الإنسان ويركز عليها هي إصلاح نفسه؛ لأن ذلك مفتاح سعادته، ولأنه بعد ذلك يستطيع معالجة سائر القضايا، وتحصيل مختلف متطلبات الحياة، ويضمن حينئذٍ الاستفادة الصحيحة والاستخدام السليم لما منحه اللّه من طاقات وقدرات. أما مع انحراف النفس فكل المكاسب والإمكانات التي ينالها الإنسان في هذه الحياة قد تصبح وبالاً عليه، ووسائل دمار تصيبه والآخرين بالشر والضرر.

فالعلم أو المال أو القوة أو الجمال أو أي إمكانية أخرى إذا كانت تحت تصرف نفس شريرة فاسدة، أو تَحْكُمُها قراراتٌ شهوانية من وحي الهوى، فإنها قد تجلب الخسار والشقاء والدمار لصاحبها وللآخرين.

ومآسي البشرية في الماضي والحاضر هي سجل كبير لشواهد وأدلة هذه الحقيقة الواضحة.

لذا كان من الطبيعي أن تركز النصوص الدينية على مسألة الاهتمام بإصلاح النفس كمنطلق لإصلاح الإنسان والحياة كما نلاحظ في النصوص التالية:

١. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[١].

٢. ويقول الإمام علي عليه السلام: (من لم يهذِّب نفسه لم ينتفع بالعقل)[٢]، فكما سبق في الفصل الأول من الكتاب، أن العقل يعطي رأيه وموقفه في القضايا والأمور، لكن النفس بشهواتها وأهوائها غير المنضبطة والملتزمة تُسكِتُ صوتَ العقل، وتدفع الإنسان إلى مخالفته.

٣. يقول الإمام علي عليه السلام: (أعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه)[٣].

فالعاجز عن إصلاح نفسه هل يقدر على إصلاح نفوس الآخرين أو إصلاح أمور الحياة؟!

٤. ويقول الإمام علي عليه السلام: (أعجز الناس من قدر على أن يزيل النقص عن نفسه فلم يفعل)[٤].

ومبدئياً فالإنسان قادر على إزالة نواقص نفسه لكن الأهواء والشهوات هي التي تمنعه من ذلك، ومن عجز عن مقاومة شهواته لا يرجى له الانتصار في الحياة.

---

(١) سورة الرعد: الآية ١١.
(٢) ميزان الحكمة: ج١٠، ص١٤٥.
(٣) المصدر السابق: ج١٠، ص١٤٦.
(٤) المصدر السابق.

٥. ويقول أيضاً عليه السلام: (من أصلح نفسه ملكها، من أهمل نفسه أهلكها)[١].

٦. وما قيمة الحياة في أسر الهوى وعبودية الشهوة؟ إنها تصبح حينئذٍ جحيماً للمعصية والإثم، وبؤرة للفساد والشر.

يقول الإمام علي عليه السلام: (من لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقص فالموت خير له)[٢].

٧. وأسوأ شيء أن يشعر الإنسان باستغناء نفسه عن الإصلاح وعدم حاجتها للتهذيب، عندها يغضب عليه الربُّ سبحانه، ويكرهه الناس، لتماديه في فساده وانحرافه، يقول الإمام علي عليه السلام: (ومن رضِيَ عن نفسه كَثُرَ الساخطُ عليه)[٣].

٨. ويقول الإمام علي عليه السلام: (أيُّها الناس تولوا مِنْ أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها)[٤].

فالتعود على أمر لا يعطيه الشرعية ولا يجعله صحيحاً إن كان في أصله سيِّئاً، وعلى الإنسان ألاّ يستسلم لعادات نفسه مهما كانت متمكنة في حياته.

٩. وكتب الإمام علي عليه السلام وصيةً لابنه الإمام الحسن عليه السلام جاء فيها: (ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت

---

(١) ميزان الحكمة: ج١٠ ص١٤٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم، الحكمة رقم: ٦.
(٤) المصدر السابق، رقم: ٣٥٩.

عليه من أدبك، أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر، ومقتبل الدهر، ذو نيّة سليمة، ونفس صافية)[١].

ففي بداية الحياة وقبل أن تتلوث النفس بالمصالح والانشدادات المادية يكون إصلاحها أسهل وأفضل.

١٠. عن الإمام علي عليه السلام: (ليس على وجه الأرض أكرم على اللّه سبحانه من النفس المطيعة لأمره)[٢].

١١. وعنه أيضاً عليه السلام: (سبب صلاح النفس الورع)[٣].

١٢. وقال أيضاً عليه السلام: (من ذم نفسه أصلحها، من مدح نفسه فقد ذبحها)[٤].

١٣. ويقول الإمام علي عليه السلام: (من جانب هواه صح عقله)[٥].

١٤. وفي كلمة أخرى يشير الإمام علي عليه السلام إلى أن العقل لا يمارس دوره القيادي الكامل في حياة الإنسان إلا إذا استقل عن تأثيرات أهواء النفس وشهواتها فيقول: (شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا)[٦].

---

(١) نهج البلاغة: كتاب: ٣١.
(٢) ميزان الحكمة: ج١٠، ص١٢٥.
(٣) المصدر السابق: ص١٤٤.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق، ج٦، ص٤٣٦.
(٦) نهج البلاغة: كتاب: ٣.

( ٦ )

## النفس أخطر الأعداء

معرفة الإنسان بعدوه، واطلاعه على خططه وأساليبه، تجعله أقدر على مواجهته والتغلب عليه. وكلما خفي العدو أو أخفى خططه ووسائله، كانت مقاومته أصعب وخطورته أشد.

وهنا تكمن مشكلة الإنسان مع نفسه، حيث لا يكتشف عداوتها بسهولة، كما تتفنن في استخدام الأساليب والوسائل الماكرة الخادعة التي قد لا يحسب الإنسان لها حساباً، أو لا يتوقع أثرها العدائي.

ومهمة النصوص والتوجيهات الدينية تتحدد بشكل أساس في تعريف الإنسان على نفسه، وكشف دوافعها أمامه، ليتعامل معها بيقظة ونباهة ووضوح.

عن رسول اللّه ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[١].

ويقول الإمام علي عليه السلام: (عدو العقل الهوى)[٢].

(١) بحار الأنوار: ج٧٠، ص٦٤.

(٢) ميزان الحكمة: ج٦، ص٤٣٦.

(٧)

## محاسبة النفس ومراقبتها

وجود الرغبات والميول الشهوانية في النفس أمر لا خيار للإنسان فيه، حيث اقتضت ذلك حكمة الربّ سبحانه، لكن توجيه تلك الميول وترشيد تلك الرغبات هي مسؤولية الإنسان التي خلق من أجل أن يؤديها في هذه الحياة.

وعلى الإنسان أن يمارس بعقله ووجدانه دور الإشراف على نزعات النفس، وملاحظة رغباتها، ليمنع من نمو وترعرع الاتجاهات الفاسدة، وليعالج ما قد يعتور النفس من أمراض وعاهات، وليضع حداً لما قد يحصل من أخطاء وأغلاط.

وكما يحتاج الجسم إلى الغسل والتنظيف، وإجراء الفحوص الطبية، ومعالجة الأمراض الطارئة، كذلك تحتاج النفس إلى صيانة مستمرة، ورقابة دائمة، للحفاظ عليها من التلوث، ولحمايتها من الشوائب.

وتأتي النصوص الدينية مكثفة داعية إلى ضرورة اعتماد برنامج

ثابت، وخطة دائمة لمحاسبة النفس ومراقبتها.

١. عن رسول اللّه ﷺ: (على العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيما صنع اللّه عز وجل إليه)[١].

٢. وعن رسول اللّه ﷺ: (لا يكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه والسيد عبده)[٢].

٣. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن في القيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة ثم تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾)[٣].

٤. وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عَمِلَ خيراً استزاد منه، وحمد اللّه عليه، وإن عَمِلَ شراً استغفر اللّه منه وتاب إليه)[٤].

٥. ويحذر الإمام علي عليه السلام من غياب دور المحاسبة والمراقبة على النفس قائلاً: (من أهمل نفسه ضيّع أمره)[٥].

٦. (عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٠، ص٦٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) ميزان الحكمة: ج١٠، ص١٤٦.

اللّه، قال هذا حديث حسن، قال: ومعنى قوله: من دان نفسه؛ يقول: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة. ويروى عن عمر بن الخطاب قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا. ويروى عن ميمون من مهران قال: لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه)[١].

٧. وعلى الإنسان أن يكون دقيقاً وصارماً في محاسبة نفسه ومراقبتها وإلا فسيدفع ثمن التساهل والتسيب غالباً. يقول الإمام علي ﴿عليه السلام﴾: (من سامح نفسه فيما يحب أتعبته فيما يكره)[٢].

٨. ويقول الإمام علي ﴿عليه السلام﴾: (من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر)[٣].

٩. وقال أيضاً ﴿عليه السلام﴾: (عباد اللّه: زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا)[٤].

هكذا تتكرر المقارنة والملازمة في النصوص الدينية بين محاسبة الإنسان نفسه في الدنيا ومحاسبة اللّه تعالى له في الآخرة، فكلما واظب الإنسان على الإشراف والتوجيه والملاحظة لنفسه في الدنيا، وفّر على

---

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، الحديث رقم ٢٤٥٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ٢٠٨.

(٤) المصدر السابق خطبة: ٩٠.

نفسه عناء حساب الآخرة، أما تفريطه وتماهله وتساهله في محاسبة نفسه في الدنيا، فسيكلفه مشقة وعذاب طول الحساب أمام اللّه تعالى والآخرة.

١٠. والعجيب من الإنسان أنه يتشاغل عن محاسبة نفسه ومراقبتها بملاحظة أخطاء الآخرين ومراقبتهم، والتحدث عن عيوبهم ومساوئهم. يقول الإمام علي عليه السلام: (فحاسب نفسك لنفسك فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك)[1].

(١) المصدر السابق خطبة ٢٢٢.

(٨)

## نتائج الانحراف النفسي

إن مضاعفات وأخطار ما يصيب النفس من انحرافات وأمراض هي مضاعفات وأخطار عظيمة، تطال مختلف جوانب حياة الإنسان، وتملأ واقعه الدنيوي ومستقبله الأخروي بالحسرة والشقاء.

والإنسان الذي تدفعه غريزة حب الذات إلى دفع الأخطار وتجنب الأضرار، كيف يتساهل تجاه تلك المضاعفات والأخطار العظيمة؟! وكيف يرضى لنفسه الدمار والشقاء من أجل شهوات محدودة ومكاسب حقيرة؟!

إنه في حاجة ماسة إلى التذكير والإرشاد والوعظ حتى لا يقع في هذا المزلق الخطير، وهذا ما تهدفه النصوص التالية:

١. وكحقيقة مسلمة ينسب القرآن الحكيم كل ما ينال الإنسان من مصائب ونكسات إلى نفسه، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ

سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[١].

٢. وفي المجتمعات والأمم كما في الأفراد، فإن مصدر انتكاساتها وهزائمها هي الحالات النفسية، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

والآية الكريمة تتحدث عن الهزيمة العسكرية التي أصابت المسلمين في واقعة أحد؛ فهي نتيجة للحالات النفسية الخاطئة التي أصابت نفوس المقاتلين، وخاصة الرماة الذين كانوا على قمة الجبل فتخلوا عن موقعهم الاستراتيجي للحصول على الغنائم مما مكَّن العدو من احتلال الموقع والسيطرة على المعركة كما هو معروف في التاريخ.

٣. ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّه لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

٤. (عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات)[٤].

٥. ويقول الإمام علي عليه السلام: (لا تُرخص لنفسك في مطاوعة الهوى، وإيثار لذات الدنيا، فتفسد دينك ولا يصلح، وتخسر نفسك

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٥.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٥٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، الحديث رقم ٢٨٢٣.

ولا تربح)[١].

إنها خسارة الدين والدنيا.

٦. إن من أخطر أضرار الانحرافات النفسية تأثيرها على العقل حيث تشل قدرته وتعطل دوره. يقول الإمام علي ﷺ: (ذهاب العقل بين الهوى والشهوة)[٢].

وماذا يبقى من الإنسان إذا ذهب عقله؟ وما هي قيمته بعد ذلك؟

٧. ويحذِّر الإمام علي ﷺ مِنْ تسلط الشهوات على العقل ليكون أداةً لغيها بدل أن يمارس دور الإرشاد والتوجيه لها، فيقول: (قد خرقت الشهوات عقله)[٣].

٨. وكتب الإمام علي ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان قائلاً: (فإن نفسك قد أولجتك شراً، وأقحمتك غيّاً، وأوردتك المهالك، وأوعرت عليك المسالك)[٤].

وذلك هو مكمن الخلل وأصل الضلال والانحراف.

---

(١) ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣١.
(٢) ميزان الحكمة: ج٦، ص٤٣١.
(٣) نهج البلاغة خطبة: ١٠٩.
(٤) المصدر السابق الكتاب: ٣٠.

# الفصل الثالث

## خطــر السقــوط

لماذا نردد في صلاتنا مراراً كل يوم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟ أوَلسنا الآن باعتبارنا مسلمين مؤمنين نسلك الصراط المستقيم؟ هل نشك في الخط الذي نسير عليه ونحتمل في أنفسنا الضلال؟ أم ماذا؟

في الواقع أنّ الصراط المستقيم ليس طريقاً يبحث عنه الإنسان عند مفترق طرق فإذا ما اهتدى إليه سلكه واستمر في السير عليه مرة واحدة إلى الأخير، بل إن الإنسان في كل لحظة أمام أي موقف أو قضية أو كلمة يجد أمامه طرقاً كثيرة وخيارات عدة، أحدها يمثل الصراط المستقيم بينما البقية طرق ملتوية معوجة.

وفي كل لحظة يتعرض الإنسان لخطر الانحراف والتنكب عن الصراط المستقيم الذي يسير عليه ولذلك يردد دائماً: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾. فالمطلوب ليس اكتشاف الخط الصحيح في الحياة والبدء بالسير عليه فحسب، بل المطلوب هو استقامة السير والاستمرار فيه.

إن اللّه تعالى يلفت أنظارنا إلى أن نطلب منه الوقاية والسلامة من الزيغ والضلال بعد الهداية والصلاح فيعلمنا أن نقول: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ

قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[١].

وفي مورد آخر يذكرنا الباري جلّ وعلا بقصة ذلك العالم الإسرائيلي الكبير بلعم بن باعوراء نموذجاً سيئاً للسقوط في أوحال الكفر والضلال بعد أن كان متسنماً لذروة الهداية والصلاح. يقول عنه تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]

وإبليس، ألم يكن عابداً للّه خاضعاً حتى رفعه اللّه إلى درجة الملائكة مع أنه من الجن، كما يقول تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ﴾؟ ولكنه في لحظة انحراف واحدة أصبح رمز الشقاء والضلال إلى يوم القيامة (وكان قد عبد اللّه ستة آلاف سنة، لا يدرى أمن سنيّ الدُّنيا أم من سنيّ الآخرة)[٣] كما يقول الإمام علي عليه السلام.

وتحدثنا الروايات عن بعض النماذج التاريخية التي أصابها السقوط والانحراف بعد أن قطعت شوطاً طويلاً من السير على خط الهداية والصلاح، فمثلاً (برصيصا) ذلك العابد الزاهد الذي كان قدوة في الخشوع والخضوع لأحد مجتمعات بني إسرائيل ولفضله ومكانته عند

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.
(٢) سورة الأعراف: الآيتان ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٣) نهج البلاغة. خطبة ١٩٢.

اللّه كان مستجاب الدعاء يؤتى بالمجانين والمرضى فيدعو لهم ويعوّذهم فيطيبون على يديه بإذن اللّه.

وذات مرة جيء له بامرأة جميلة ذات شرف قد أصابها الجنون وتركها إخوتها في صومعته ليشفيها اللّه ببركة أنفاسه ودعائه ...

وفي لحظة سيئة وإذا بذلك العابد الزاهد يمارس الجريمة مع تلك المريضة المجنونة !!

وانتبه على نفسه بعد الجريمة فلعل المرأة قد حملت منه!

يا للفضيحة والعار ...

وهنا قرر أن يقتلها ويدفنها في الصحراء ليتخلص من الفضيحة!!

ولكنها فضيحة مكشوفة وجريمة ثابتة لا يمكن التنصل منها فقد اضطر للاعتراف بذلك أما السلطة وحكم عليه بالإعدام مصلوباً بعد إدانته بجريمتين: الزنى والقتل.

فأتى إليه الشيطان وهو مصلوب على الخشبة ينتظر لحظة الموت ليستريح من حياة الخزي والعار فوسوس إليه الشيطان قائلاً: أنا الذي ألقيتك في هذا فاسجد لي سجدة واحدة حتى أخلصك ...

قال العابد (المجرم الشقي) مستجيباً لطلب الشيطان: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟

فأجابه الشيطان: أكتفي منك بالإيماء.

فأومأ بالسجود للشيطان ... وبعدها مباشرة لفظ آخر نفس من أنفاس حياته ...[١].

لقد انتهت حياته ويداه ملطختان بأبشع الجرائم، فقد مارس جريمة الزنى، ثم قام بجريمة القتل، ثم كفر باللّه وسجد للشيطان ... بعد أن كان عابداً مستجاب الدعوة عند اللّه.

هكذا يكون الإنسان مهما كانت درجة إيمانه معرّضاً لخطر السقوط والانحراف في كل لحظة من لحظات حياته. يقول الرسول الأعظم ﷺ: (لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقن الوصول إلى رضوان اللّه حتى يكون وقت نزع روحه)[٢].

بل إن هناك نصوصاً وأحاديث تشير إلى أن المؤمن ليس معرضاً لخطر الضلال والانحراف كسائر الناس بل إن وضعه أخطر وتعرضه لمحاولات الانحراف والضلال أكثر من الآخرين.

مرة سُئل أحد الأئمة عليهم السلام من قِبَل أحد تلامذته المجاهدين: قال: يا ابن رسول اللّه، أتخاف علينا من الشيطان؟

فأجابه الإمام: وهل الخوف من الشيطان إلا عليكم، أما غيركم فقد خلص منهم.

---

(١) سفينة البحار: ج١، ص٧١.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٢٠٩.

## من أين يأتي الخطر؟

ولكن لماذا يصبح احتمال الانحراف وراداً في حياة الإنسان المؤمن؟

يبدو أن هناك أسباباً وراء ذلك وخاصة بالنسبة لنا كمؤمنين نعيش في هذا العصر:

**أولاً: رواسب التربية والبيئة:**

فآباؤنا وعوائلنا وبيئتنا التي نشأنا فيها لم تكن في المستوى المطلوب من الوعي والالتزام بالقيم الإسلامية الصحيحة. إن أغلب العوائل في مجتمعنا لا تعرف شيئاً عن أساليب التربية السليمة ولا عن مناهج الإسلام في التربية وتوجيه الأولاد. وإن الثقافة التي يحملها أهالينا والتي يغرسونها في أذهاننا ليست نقية وصافية، وإنها مشوبة بالأوهام والخرافات والتزييف. وإن الأخلاق وطريقة التعامل التي ننشأ في ظلها ليست وفق ما يريد الإسلام تماماً بل هي مليئة بالأخطاء والانحرافات.

وحينما يتربى الإنسان في مثل هذه الأوضاع والظروف فإنه حتى

وإن توفق لإصلاح نفسه واهتدى إلى الصراط المستقيم في حياته فإن رواسب تلك التربية والبيئة قد يبقى بعضها في نفسه ليقذف به في مهاوي الانحراف والضلال.

## ثانياً: ضغوط الالتزام:

ففي هذا العصر المادي وفي مثل هذه الأجواء الفاسدة التي نعيش، يصبح الالتزام بالمبادئ والقيم مصدر مصاعب ومتاعب وضغوط قاسية في حياة الإنسان المؤمن.

وقد صدق رسولنا العظيم ﷺ، وهو الصادق الأمين حينما قال: (يأتي على الناس زمان يكون القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر).

هذه الضغوط التي يعانيها الإنسان المؤمن من قبل الظالمين أو قطاعات المجتمع المتخلف وحتى من قبل أهله وعائلته، ولتحديه الأجواء الفاسدة ومواجهته للواقع السيئ، كل تلك الضغوط تسبب له مضايقة نفسية قد تؤدي إلى بعض التراجع والانهزام أو سوء الخلق وتعقد النفس.

## ثالثاً: تأثير الأجواء الفاسدة:

تعالوا ننظر في أية أجواء نحن نعيش؟ ومن أي هواء نتنفس؟

فالبيئة التي يعيش فيها الإنسان يتأثر بها غالباً، فإذا كان يعيش في وسط محيط نقي خالٍ من الأوساخ والتلوث، فإن صفحة نفسه ستكون بيضاء صالحة، أما إذا كان الجو المحيط به مشوباً بالمفاسد والانحرافات،

فإن ذلك يكون سبباً من أسباب الفساد والانحراف عنده.

إن الأحوال الاجتماعية، والقيم السائدة، والثقافة الرائجة، ووسائل الإعلام، كلها مفردات ضمن المحيط الذي يتأثر به الإنسان.

ولاشك أن الكثير من الفساد والتلوث قد تسلل إلى هذه المفردات في مجتمعاتنا، مما يجعل الواحد منا معرضاً للتأثر بها، إن لم يكن يقظاً حذراً ولم يكن جهاز المناعة عنده سليماً فعالاً.

**رابعاً وأخيراً: دور الشيطان:**

إن وجود المؤمن في هذا العصر يشكل تحدياً صارخاً وكبيراً للشيطان، فكيف إذا ما كان ذلك المؤمن رساليًّا يعمل على هداية الآخرين، ونسف خطط الشيطان، وتخريب الأجواء عليه؟

إن المؤمن الرسالي هو أخطر جبهة يعمل الشيطان على مقاومتها ويوجه جهوده نحوها وأقل غفلة تمرّ على المؤمن الرسالي فإن الشيطان مستعد لاغتنامها حيث يبدأ بالتسرب داخل حياته ولو من ثغرة صغيرة، وعبر ذنب صغير.

لذا جاء في الحديث الشريف أن رسول اللّه ﷺ قال: (والذي نفس محمد بيده لعالم واحد أشدُّ على إبليس من ألف عابد؛ لأن العابد لنفسه والعالم لغيره)[1].

والسبب واضح، فألف عابد ليست لهم فطنة وفقه في دينهم لا يجد

(١) ميزان الحكمة: ج٦، ص٤٦١.

الشيطان عناءً كبيراً في إضلالهم والانحراف بهم، ومن ناحية أخرى فهم يشكلون خطراً محدوداً لا يتعدى أنفسهم؛ لأن امتدادهم وتأثيرهم على الآخرين ليس وارداً. أما مؤمن واحد يفقه دينه ويعيه بمختلف أبعاده فإن إضلاله مهمة شاقة وصعبة على الشيطان، هذا أولاً، وثانياً فإنه جبهة قابلة للتوسع والامتداد بواسطة تأثيره واستقطابه للآخرين.

من هنا يصب الشيطان كل جهوده واهتمامه على هذه الجبهة الخطيرة وهي: المؤمن الرسالي.

وقد جاءت النصوص الدينية عن أنبياء اللّه وأئمة الهدى تحذرنا من الغفلة وتؤكد علينا ضرورة استمرار التنبه واليقظة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(ومن غفل غرته الأماني وأخذته الحسرة)[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

(إن كان الشيطان عدواً فالغفلة لماذا؟!)[٢].

## احذروا مؤامرات الشيطان:

وثمة ملاحظة أخرى مهمة جداً في هذا المجال:

حينما يعمل الشيطان على إضلال المؤمن والانحراف به عن جادة الصراط المستقيم فإنه قد لا يأتيه من قبل الذنوب الواضحة والمعاصي

(١) سفينة البحار: ج٢، ص٣٢٣.
(٢) المصدر السابق.

المكشوفة فيحاول مثلاً أن يقنعه بشرب الخمر أو باللواط أو ترك الصلاة، إنها حينئذٍ محاولة مفضوحة ومحكوم عليها بالفشل بالنسبة لمؤمن ملتزم، فلا بد من اختيار الخطة المناسبة التي يمكن أن تنطلي على المؤمن في لحظة غفلة أو سهو. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد: (إن لهم ـ الشياطين ـ خدعاً وشقاشق وزخارف ووساوس وخيلاء على كل أحد قدر منزلته في الطاعة والمعصية فبحسب ذلك يستولون عليه بالغلبة)[١].

فعن أي طريق إذن يجيء الشيطان؟

إنه يأتي للإنسان المؤمن عن طريق دينه، فيحيك له مؤامرة يضفي عليها طابع الدين، وينصب له فخاً عليه مظاهر الطاعة والعبادة، وحينما يغيب عن المؤمن وعيه وانتباهه وتيقظه في إحدى اللحظات فإنه يقع في فخ الشيطان ويتورط في مصيدته!!

وهذا هو ما حذّر منه القرآن الحكيم في قوله: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: (فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى)[٢].

---

(١) بصائر وهدى للمؤلف: ص٦٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥٠.

ومن هذا القبيل ما يصنعه الشيطان في نفوس بعض المؤمنين من تضخيم بعض قضايا الدين على حساب سائر القضايا الدينية.

يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في دعائه: (فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاصٍ، ولولا أنه صوّر لهم الباطل في مثال الحق ما ضلّ عن طريقك ضال)[1].

فباسم العبادة والإقبال على الصلاة والدعاء يهمل الجهاد في سبيل اللّه. وتحت عنوان لزوم (التقية) ووجوبها يعيش المؤمن الخضوع والاستسلام للباطل.

وبحجة اتباع وتقليد أحد الفقهاء والمجتهدين يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبمبرر التفرغ لإصلاح الذات وبنائها يكون التهرب من النشاط والعمل في سبيل اللّه.

إن أمثال هذه الموارد غالباً ما تكون مصائد وأحابيل للشيطان تنطلي على بعض المؤمنين في لحظات الغفلة وعدم الانتباه.

---

(١) الصحيفة السجادية دعاء: ٣٧.

## ضمانات الاستقامة

والآن: ما هي الضمانات التي يلجأ إليها الإنسان المؤمن لمواجهة أخطار الانحراف والضلال؟؟؟

والجواب: إنها المزيد من الوعي واليقظة ومجاهدة النفس، ولكي يتوفق الإنسان لذلك لا أفضل من التتلمذ على توجيهات ووصايا أئمة الهدى وجدّهم الرسول الأعظم ﷺ.

تلك التوجيهات التي تنفذ إلى أعماق نفس الإنسان لتسلط له الضوء على الرواسب المتبقية في نفسه من التربية الخاطئة والبيئة الفاسدة.

والوصايا التي تعطي الإنسان الثقة بنفسه وترفع معنوياته وتجعله في مستوى التحدي ومواجهة كل دنيا الفساد وأجواء عالم الانحراف.

إنها تكشف للإنسان عن حقائق الكون والحياة وتجعله ينظر إلى ما حوله ببصيرة نافذة وعميقة.

وتمنح هذه الوصايا الرائعة للإنسان قدرة نفسية كبيرة على تجاوز

كل الضغوط ومواجهة جميع الأزمات والمصاعب التي تعترض طريق المؤمن الملتزم بصدر رحب ونفس مطمئنة راضية مرضية.

وأخيراً فإن هذه التوجيهات العظيمة تفضح أمام الإنسان كل مخططات الشيطان ومؤامراته وتجعل الإنسان يقظاً واعياً على الصراط المستقيم.

إنها وصايا عظيمة رائعة لا تقدر بثمن. يقدمها للبشرية أئمة عرفوا الحياة معرفة حقيقية كاملة، وشقوا أمام الإنسان طريق الاستقامة والنجاح، وضربوا أروع المثل في الثبات على الطريق المستقيم رغم كل المصاعب والتحديات.

إنها وصايا صادقة مخلصة صدرت عن أئمة صادقين مخلصين، خرجت من أعماق قلوبهم لتستقر في أعماق كل صادق مخلص.

فما أحوج كل مؤمن للتتلمذ على هذه الوصايا لتصبح المنظار الذي يرى من خلاله الحياة وأحداثها، ولتكون هدىً يضيء له طريق الاستقامة والنجاح.

ولنتأمل الآن بعض النماذج من تلك الوصايا الرائعة العظيمة:

**من وصايا الرسول الأعظم ﷺ:**

جاء في وصيته العظيمة الشاملة لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

يا أبا ذر: احفظ ما أوصيك به تكن سعيداً في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر: اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل

سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

يا أبا ذر: إياك والتسويف بأملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يك غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم.

يا أبا ذر: كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً لا يبلغه.

يا أبا ذر: كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك.

يا أبا ذر: من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنة.

يا أبا ذر: يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار؟ وقد دخلنا الجنة بتأديبكم وتعليمكم!! فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله.

يا أبا ذر: المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم الزيادة، إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه صخرة يخاف أن تقع عليه، وإن الكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه.

يا أبا ذر: إن اللّه تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة، والإثم عليه ثقيلاً وبيلاً، وإذا أراد بعبد شراً أنساه ذنوبه.

يا أبا ذر: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن أنظر إلى من عصيته[١].

**من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام:**

في وصية شاملة عهد بها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٧٤ ـ ٩١.

لكميل بن زياد ﵁ جاءت النقاط التالية:

يا كميل: إن رسول اللّه ﷺ أدبه اللّه وهو ﷺ أدبني وأنا أؤدب المؤمنين.

يا كميل: ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة.

يا كميل: لا تردن سائلاً ولو من شطر حبة عنب أو شق تمرة، فإن الصدقة تنمو عند اللّه.

يا كميل: لا بأس بأن لا يُعلم سرك.

يا كميل: المؤمن مرآة المؤمن لأنه يتأمله ويسد فاقته ويجمل حالته.

يا كميل: إذا وسوس الشيطان في صدرك، فقل: أعوذ باللّه القوي من الشيطان الغوي، وأعوذ بمحمد الرضي من شرّ ما قدر وقضي، وأعوذ بإله الناس من شرّ الجِنَّة والناس، تكفى مؤنة إبليس والشياطين معه، ولو أنهم كلهم أبالسة مثله.

يا كميل: إن لهم (الشياطين) خدعاً وشقاشق وزخارف ووساوس وخيلاء على كل أحد قَدْر منزلته في الطاعة والمعصية، فبحسب ذلك يستولون عليه بالغلبة.

يا كميل: لا عدو أعدى منهم، ولا ضار أضرّ بك منهم، أمنيتهم أن تكون معهم غداً إذا جثوا في العذاب.

يا كميل: ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، الشأن أن تكون

الصلاة بقلب نقي، وعمل عند اللّه مرضي، وخشوع سوي، وإبقاء للجد فيها[١].

## من وصايا الإمام الحسن بن علي عليه السلام:

قال له جنادة بن أبي أمية في مرضه الذي توفي فيه: عظني يا ابن رسول اللّه.

قال: نعم.

استعد لسفرك، وحصِّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل هَمَّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه.

واعلم: أن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيه، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فالعتاب يسير.

واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية اللّه إلى عزّ طاعة اللّه عزّ وجلّ[٢].

---

(١) الحراني: تحف العقول: ص١١٩ ـ ١٢٣.

(٢) الميلاني: قادتنا كيف نعرفهم: ج٥، ص٣٢٥ ـ ٣٢٦.

**من وصايا الإمام محمد الباقر عليه السلام:**

من وصية له عليه السلام لأحد تلامذته الخواص جابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه قال فيها:

أوصيك بخمس: إن ظُلمت فلا تَظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كُذِّبتَ فلا تغضب، وإن مُدحت فلا تفرح، وإن ذُممت فلا تجزع، وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت في نفسك ما قيل فيك، فسقوطك من عين اللّه جلّ وعزّ عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب اللّه، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وابشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك. وإن كنت مبائناً للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك؟!

إن المؤمن معنيٌّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها (عوجها) ويخالف هواها في محبة اللّه، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها، فينعشه اللّه فينتعش، ويقيل اللّه عثرته، فيتذكر ويفزع إلى التوبة، والمخافة، فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأن اللّه

يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1].

## من وصايا الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

قضايا مهمة وحقائق خطيرة يطرحها الإمام الصادق عليه السلام في وصيته لأحد خواص أصحابه (عبداللّه بن جندب البجلي الكوفي) نقتطف منها المقاطع التالية:

يا ابن جندب: حق على كل مسلم أن يعرض عمله في كل يوم وليلة على نفسه فيكون محاسب نفسه، فإن رأى حسنة استزاد منها، وإن رأى سيئة استغفر منها لئلا يخزى يوم القيامة، طوبى لعبد طلب الآخرة وسعى لها، طوبى لمن لم تلهه الأماني الكاذبة.

ثم قال عليه السلام: رحم اللّه قوماً كانوا سراجاً ومناراً، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم، ليس كمن يذيع أسرارنا.

يا ابن جندب: إنما المؤمنون الذي يخافون اللّه ويشفقون أن يسلبوا ما أعطوا من الهدى، فإذا ذكروا اللّه ونعماءه وجلوا وأشفقوا، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً مما أظهره من نفاذ قدرته، وعلى ربهم يتوكلون.

يا ابن جندب: يهلك المتكل على عمله. ولا ينجو المجترئ على الذنوب، الواثق برحمة اللّه.

قلت: فمن ينجو؟

---

(١) تحف العقول: ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

قال: الذين هم بين الرجاء والخوف، كأن قلوبهم في مخلب طائر شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العذاب.

يا ابن جندب: من سرَّه أن يزوجه اللّه الحور العين، ويتوِّجه بالنور، فليدخل على أخيه المؤمن السرور.

يا ابن جندب: أقلّ النوم بالليل والكلام بالنهار. فما في الجسد شيء أقل شكراً من العين واللسان، فإن أم سليمان قالت لسليمان عليه السلام: يا بني إياك والنوم فإنه يفقرك يوم تحتاج الناس إلى أعمالهم.

يا ابن جندب: إن للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاموا شباكه ومصائده!

يا ابن جندب: من أصبح مهموماً لسوى فكاك رقبته فقد هون عليه الجليل ورغب من ربه في الربح الحقير. ومن غشّ أخاه وحقره وناواه جعل اللّه النار مأواه، ومن حسد مؤمناً انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء.

يا ابن جندب: الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشحط بدمه في سبيل اللّه يوم (بدر) و(أحد) وما عذب اللّه أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم.

يا ابن جندب: كل الذنوب مغفورة سوى عقوق أهل دعوتك، وكل البر مقبول إلا ما كان رئاءً.

يا ابن جندب: إن أحببت أن تجاور الخليل في داره وتسكن الفردوس في جواره فلتهن عليك الدنيا، ولا تدخر شيئاً لغد. واعلم أن لك ما

قدمت وعليك ما أخرت.

صبِّر نفسك عند كل بلية في ولد أو مال أو رزية، فإنما يقبض عاريته ويأخذ هبته ليبلو فيها صبرك وشكرك.

وارجُ اللّه رجاءً لا يجرّيك على معصيته، وخفه خوفاً لا يُؤَيِّسك من رحمته.

ولا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتكبَّر وتجبَّر وتعجب بعملك، فإن أفضل العمل العبادة والتواضع.

يا ابن جندب: لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك، فإنك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك، ولكن إذا أعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك، فإن الذي تتصدق له سراً يجزيك علانية على رؤوس الأشهاد في اليوم الذي لا يضرك أن لا يطلع الناس على صدقتك.

يا ابن جندب: الخير كله أمامك، وإن الشرّ كله أمامك ولن ترى الخير والشر إلا بعد الآخرة، لأن اللّه جلّ وعزّ جعل الخير كله في الجنة والشرّ كله في النار، لأنهما الباقيان، والواجب على من وهب اللّه له الهدى وأكرمه بالإيمان، وألهمه رشده وركب فيه عقلاً يتعرف به نعمه، وآتاه علماً وحكماً يدبر به أمر دينه ودنياه، أن يوجب على نفسه أن يشكر اللّه ولا يكفره، وأن يذكر اللّه ولا ينساه، وأن يطيع اللّه ولا يعصيه.

أما أنه لو وقعت الواقعة، وقامت القيامة، وجاءت الطامة ونصب الجبار الموازين لفصل القضاء وبرز الخلائق ليوم الحساب، أيقنت عند ذلك لمن تكون الرفعة والكرامة، وبمن تحلُّ الحسرة والندامة فاعمل

اليوم في الدنيا بما ترجو به الفوز في الآخرة.

يا ابن جندب: قال اللّه جلّ وعزّ في بعض ما أوحى: (إنما أقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمتي، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري ولا يتعظم على خلقي، ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، أكلأه بعزتي واستحفظه ملائكتي، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، فمثل ذلك العبد كمثل جنات الفردوس لا يسبق أثمارها، ولا تتغير عن حالها ...)[١].

## من وصايا الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

ما أروع هذه الوصية التي أدلى بها الإمام الكاظم عليه السلام لتلميذه الجليل هشام بن الحكم البغدادي، إنها تحتوي على درر ثمينة من المعرفة، وتقدم للإنسان أفضل الرؤى والتوجيهات، فلنقف على بعض المقاطع من هذه الوصية العظيمة:

يا هشام: لكل شيء دليل، ودليل العاقل التفكر.

يا هشام: لو كان في يدك جوزة، وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس إنها جوزة ما ضرك وأنت تعلم أنها لؤلؤة.

يا هشام: إن للّه على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما

(١) تحف العقول: ص٢٢١ ـ ٢٢٦.

الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام: قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام: إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرضَ بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام: إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك.

يا هشام: إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وتَرْك الدنيا من الفضل وتَرْك الذنوب من الفرض.

يا هشام: إن العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام: إن اللّه جلّ وعزّ حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها.

يا هشام: لا دين لمن لا مروة له، ولا مروة لمن لا عقل له، وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام: إن العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأله من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يتقدم على ما يخاف العجز عنه.

يا هشام: رحم اللّه من استحيا من اللّه حق الحياء، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات.

يا هشام: من كفَّ نفسه عن أعراض الناس أقاله اللّه عثرته يوم القيامة، ومن كفَّ غضبه عن الناس كفَّ اللّه عنه غضبه يوم القيامة.

يا هشام: إن العاقل لا يكذب وإن كان في هواه.

يا هشام: أصلح أيامك الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو وأعد له الجواب، فإنك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر وأهله، فإن الدهر طويلة قصيرة، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لتكون أطمع في ذلك، واعقل عن اللّه، وانظر في تصرف الدهر وأحواله، فإن ما هو آتٍ من الدنيا، كما ولَّى منها فاعتبر بها.

قال علي بن الحسين عليه السلام: إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها بحرها وبرها وسهلها وجبلها عند ولي من أولياء اللّه وأهل المعرفة بحق اللّه كفيء الظلال.

ثم قال عليه السلام: ألا حُرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها ـ يعني الدنيا ـ فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها، فإنه من رضي من اللّه بالدنيا فقد رضي بالخسيس.

يا هشام: إن كل الناس يبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها إلا من عرف مجاريها ومنازلها. وكذلك أنتم تدرسون الحكمة، ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها.

يا هشام: إن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها.

يا هشام: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه، إن أعطي حسده وإن ابتلي خذله.

يا هشام: لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

يا هشام: إن مثل الدنيا مثل الحية مسّها ليّن وفي جوفها السم القاتل، يحذرها الرجال ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

يا هشام: اصبر على طاعة اللّه، واصبر عن معاصي اللّه؛ فإنما الدنيا ساعة فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأتِ منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها فكأنك قد اغتبطت.

يا هشام: مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

يا هشام: إياك والكبر، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر. الكبر رداء اللّه فمن نازعه رداءه أكبه اللّه في النار على وجهه.

يا هشام: قال رسول اللّه ﷺ: إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه؛ فإنه يلّقى الحكمة. والمؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير

الكلام قليل العمل.

يا هشام: أوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السلام: قُل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدهم عن ذكري وعن طريق محبتي ومناجاتي، أولئك قطاع الطريق من عبادي، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام: أوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود حذِّر فأنذر أصحابك عن حب الشهوات، فإن المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عني.

يا هشام: إياك والكبر والاستطالة بعلمك فيمقتك اللّه، فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك. وكن في الدنيا كساكن دار وليست له، إنما ينتظر الرحيل.

يا هشام: مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة. ومشاورة العاقل الناصح يمن وبركة ورشد وتوفيق من اللّه. فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب.

وإذا مرّ بك أمران لا تدري أيهما خير وأصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن كثير الصواب في مخالفة هواك.

يا هشام: من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أوتي عبدٌ علماً فازداد للدنيا حباً إلا ازداد من اللّه بعداً وازداد عليه غضباً ...[1].

(١) المصدر السابق: ص٢٨٣ ـ ٢٩٧.

# الفهرس

## المصادر


١. القرآن الكريم.

٢. الرضي: الشريف/ نهج البلاغة .

٣. النيسابوري: مسلم بن الحجاج القشيري/ صحيح مسلم.

٤. المجلسي: الشيخ محمد باقر/ بحار الأنوار.

٥. الترمذي: محمد بن عيسى بن سَورَة / سنن الترمذي.

٦. البخاري: محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري.

٧. الري شهري: محمد / ميزان الحكمة.

٨. المظفر: محمد رضا/ المنطق.

٩. فضل الله: مهدي/ مدخل إلى علم المنطق.

١٠.المدرسي: محمد تقي/ المنطق الإسلامي.

١١.زين العابدين: علي بن الحسين/ الصحيفة السجادية.

١٢.الحراني: الحسن بن علي بن شعبة/ تحف العقول.

١٣. القمي: عباس/ سفينة البحار.

١٤.الميلاني: / قادتنا كيف نعرفهم.

## عنوان المؤلف

المملكة العربية السعوية
ص.ب: ١٣٢٢ القطيف ٣١٩١١
هاتف: ٨٥٥٥٢١٠ ٣ ٩٦٦+
فاكس: ٨٥١٢٦٠٠ ٣ ٩٦٦+
الموقع على الإنترنت: www.saffar.org
البريد الألكتروني: office@saffar.org